# حديث صاحب الجلالة
# لمجلة «جيوبولتيك» الفرنسية

خص صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مجلة «جيوبولتيك» الفرنسية بحديث عرض فيه جلالته تصوره لممارسة الحكم والتحديات التي تواجه الدولة العصرية ودور الدين والوضع في العالم الاسلامي وأوربا.

وفيما يلي النص الكامل لهذا الحديث الذي أجرته مع جلالته السيدة ماري فرانس غارو رئيسة المعهد الدولي للجيوبولتيك والذي نشر يوم 17 محرم 1418 موافق 14 ماي 1997 .

-سؤال:

يبدو ياصاحب الجلالة أنكم تولون على غرار الجنرال دوغول أهمية قصوى لاقامة إطار مؤسساتي خاص يهدف إلى ضمان استمرارية قوة الحكم في دولة عصرية. لكن إذا ما أردنا تناول الموضوع بشكل معمق فيمكن أن نقول أن الجنرال دوغول أراد إضفاء الطابع الملكي على النظام الجمهوري حتى يرسخه في الزمان بينما يضفي ملك المغرب الذي تحذوه نفس الرغبة الطابع الجمهوري على النظام الملكي كما لو كان بإمكان القانون أن يضفي مشروعية أكبر على هذا النظام .وليس صدفة أن يكون الملك الوحيد الذي يحكم مباشرة هو عاهل مملكة إسلامية تستند على الدين .

فهل الانتقال إلى الحداثة التي تفرض العلمانية وإخضاع سير المؤسسات للقانون بإمكانه ضمان دوام حكم النظام الملكي بكل مقوماته .

-جواب صاحب الجلالة:

بخصوص المقارنة التي عقدتموها بيني وبين الجنرال دوغول، أود بداية أن أتطرق إلى نقطة لم يسلط عليها أساتذة القانون الدستوري ما يكفي من الضوء .إنهم يقولون دائما بتعارض النظام الجمهوري مع النظام الملكي مع أن أصل كلمة جمهورية يعني الشأن العام الذي لم يكن على ما اعتقد بعيدا عن مهام الملكية لانها كانت السباقة إلى ممارسة مهام الشأن العام. إذن فالملك هو قبل كل شيء جمهوري بحكم مهامه.

واذا كنت قد وضعت دستورا فلكي لا أكون على علاقة مباشرة بالحكم لسبب بسيط هو أنه سواء تعلق الأمر برئيس نظام جمهوري رئاسي أو ملك فالحكم لا يكون بواسطة السلطة لكن بالهيبة والتقدير الذي يعتبر كل مواطن أن عليه أن يخص به من وضع فيه ثقته . وهذا يعني التحلي دائما بالصدق وبقدر كبير من الشجاعة فيتعين بالإضافة إلى ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا تعلم كيفية تلقي الضربات معرفة توقع الأشياء، فلماذا إذن يعتبر الحكم بطريقة حديثة بالاستناد إلى الإسلام والتقاليد أمرا شبه مستحيل.

أعتقد أن ممارسة الحكم بهذه الطريقة لا تبدو أمرا صعبا إلا بالنسبة للآخرين.

فلم يخطر أبدا ببالنا وأعني المسلمين والمغاربة خصوصا أن هناك مشكل الدين والعلمانية .

وإذا أردنا أن نعمق الحديث في الموضوع يمكن القول أن من يقول بهذا كمن يريد وهو في كورسيكا تعويض القانون الكنسي بالقانون المدني.

وعلى كل حال هناك ظاهرة غريبة جدا فالقانون المدني الذي وضع في عهد نابوليون الأول سبق بحوالي قرن من الزمن جوا فيري رائد العلمانية.

إذن فقد عشتم خلال الثمانين سنة التي سبقت العلمانية ازدواجية إما على أساس قانون الكنيسة أو على أساس القانون المدني، ولم يمثل ذلك بالنسبة لكم أي صعوبة . فلم تعرفوا شرخا اجتماعيا أو فكريا كما أنكم تكيفتم تماما مع الثورة الصناعية . وأعتقد أن لكل شعب ولكل حضارة ولكل عرق من الأعراق طريقته الخاصة في التعامل مع الحضارة ومع محيطه وهو بذلك يخلق بيئته الخاصة به.

-سؤال:

لقد كان الجنرال دوغول مرتبطا بفرنسا ارتباطا وثيقا ولذلك لم تكن الولاية

الرئاسية تكتسي أية أهمية . لقد كان بينهما عقد لفترة لا محدودة . وهناك كل يوم أشياء يتم ربحها وأخرى تضيع إلا أنه من البديهي أن التاريخ يسمح في بعض الأحيان ببلورة هذا الارتباط بين الحاكم والمحكوم.

لقد كانت هذه هي حالة الجنرال دوغول سنة 1940 وحالة والدكم خلال الاستقلال ونفس الشيء بالنسبة إليكم ياصاحب الجلالة بمناسبة المسيرة الخضراء. ألا يتم إضفاء الصبغة القانونية على هذا الارتباط عن نوع من الحرص على ضمان الاستمرارية والنظام والاستقرار له ...

-جواب صاحب الجلالة :

إذا بقينا في إطار الصورة التي أوردتموها يتعين مع ذلك أن يكون لهذه الارتباطات معنى بمفهوم كورناي وليس بمفهوم راسين.

فيتعن على المترابطين البحث عن البطولة وهذه البطولة لا يمكن أن تكون إلا في التحدي والصرامة والكفاح جنبا إلى جنب. وبإمكاني أن أؤكد لكم أن المعارك لم تنقصنا خلال السنوات والعقود المقبلة.

وفي المقابل -واتحدث هنا على مستوى العالم- أخشى أن تعوزنا إمكانيات خوض هذه المعارك سواء تعلق الأمر بالجوع أو الأمية أو البطالة ، فلمواجهة هذه التحديات يتعين خلق كفاح يصبح مقدسا ويشعر فيه الشعب بأنه هو البطل .

إن ممارسة البيعة عنصر جوهري في نظامنا ليس على المستوى الدستوري بل على المستوي المؤسساتي فنص البيعة يبارك ويزكي الخليفة.

وسأحاول اعتمادا على الذاكرة أن أترجم لكم هذا النص فهو يقول أننا نبايعك في السراء والضراء وعليك في المقابل حمايتنا والسهر على ضمان حقوقنا.

ورغم أن النظام الملكي هو في الحقيقة مؤسسة فإنه في الواقع يقوم على أساس أن العقد شريعة المتعاقدين ومن تم فإن الذي يوجد على رأس

السلطة يعتبر نفسه مسؤولا أمام الله ليس فقط على تدبيره لممتلكاته ولرعايته لأسرته وإنما أيضا على الطريقة التي يدير بها شؤون أسرته الكبيرة.

-سؤال:

لكن يمكن الطعن في هذه البيعة عندما يعتبر الشعب أن الملك لم يلتزم بالحقوق المعنوية لرعاياه فلنتجاوز بضعة قرون ونتحدث عن الحقوق الاجتماعية، ألا يمكن الطعن في البيعة لعدم احترام الحقوق الإجتماعية. أليس معنى ذلك إضفاء البعد القانوني بل حتى الإجتماعي على هذه البيعة .

-جواب جلالة الملك :

كلما كانت القائمة طويلة كلما كانت محدودة وإذا أردنا أن نعد الحالات التي أخل فيها الملك بمسؤوليته حيث يتعين فسخ عقد البيعة فسنكون مضطرين إلى وضع لائحة طويلة جدا.

إن ذلك سيكون من قبيل الخطأ إذ ستنشب حرب حقيقية وسيدور جدل عميق بين الملك وشعبه فالشعب يعتقد أن الملك أخل بواجبه بينما يرى هذا الأخير العكس وفي هذه الحالة يكفي أ ن يقول الشعب كلمته وهذا أفضل. فستكون هناك حرية أكبر لدى الشعب.

-سؤال:

أليس القانون في العمق شيئا ثانويا، فالحكم لا يستمد أبدا من القانون وكل ما هناك أن القانون يمكنه أن يقلص من صلاحيات الحكم.

-جواب صاحب الجلالة:

أرى عكس ذلك فالثقافة القانونية -خاصة القانون العام- تشكل آلية ممتازة تمكن من بلورة أشياء جاهزة أو على المقاس وذلك حسب الرغبة .

-سؤال:

لكي لا يطعن الشعب في البيعة يتعين إذن أن يخوض إلى جانب الملك معركة كبيرة مع وجود عدو على قدر من القوة بحيث يتيح التعبئة ولكن لا يمكنه في نفس الوقت الظفر بالمعركة. لقد أكد كارل شميت أن السياسة هي قبل كل شيء تحديد عدو ما.

-جواب صاحب الجلالة:

إننا نعيش -ولله الحمد- عصر العولمة، فلماذا لا نتحرر قليلا من هذه النظرة غير العقلانية حيث نعتبر هذا البلد أو هذه الايديولوجية بمثابة عدو. إن العدو الحقيقي ربما هو من الآن فصاعدا التفاوت الاجتماعي وهجرة القرويين إلى المدن . فيجب الاحتكاك بالسكان والتواصل معهم وشرح الأمور لهم وخاصة دفعهم إلى معاينة الأشياء قبل أن يطلب منهم التحسب للأمور . فليس الأعداء هم الذين ينقصوننا.

-سؤال:

صاحب الجلالة لا تكمن الصعوبة الكبرى للحكم في الاختلاف القائم بين أولئك الذين يمارسونه وغيرهم.

-جواب جلالة الملك

إن المسألة كما تعرفون ليست في ممارسة الحكم وإنما في حمايته من أولئك الذين يلوثونه بدءا من المقربين من الحاكم أي أولئك الذين يعلنون ولاءهم له ويقولون أنهم أصدقاءه.

-سؤال:

وما هو السبيل إلى تفادي هذه الوضعية ؟

-جواب صاحب الجلالة:

إن ذلك يتم من خلال الحزم والصرامة كما يتعين أن يكون لمن يمارس الحكم أكبر عدد ممكن من العيون في الخارج وهو في بيته.

-سؤال:

يبدو أن الحكومة بحاجة -كما هو الشأن في مجال الفروسية - إلى وجود عدم استقرار نسبي والبحث عن التوازن في ظل اللاتوازن ذلك أنه من حيث الجوهر فإن نظاما ملكيا تضرب جدوره في أعماق الدين والتاريخ ويواجه حتمية العصرنة يشكل أحد مفاتيح استمرارية العالم الذي نعيش فيه فهل الأنظمة المستندة على الدين هي وحدها التي بوسعها الاستمرار.

-جواب جلالة الملك :

لقد أعجبتني هذه المقارنة بالفروسية ليس ثمة شيء أخطر على الفرس والفارس معا من النزول بسرعة عبر منحدر وعلى العكس من ذلك ففي السهل أو الجبل يتعين على الفارس والفرس أن يشكلا جسدا واحدا.

ومن الأكيد أيضا أن الإيمان بأحد الأديان أضحى أكثر من أي وقت مضى أمرا ضروريا، إني لا أود أن أحشر نفسي في أمور الغير بيد أنني ألاحظ وجود مفارقة. ففيما مضى كان يعاب على الكنيسة في أن يعتنق الجميع المسيحية ولكننا أصبحنا نرى اليوم بعض المسيحيين يتهمون الكنيسة بالتحرك وعلى كل حال فإن هذا الأمر يثير الاستغراب.

-سؤال:

أليس هناك من يثير من جديد مسألة الايمان وفقا لمتطلبات الحكم .

-جواب جلالة الملك :

لكن ذلك أمر ضروري لأن أدياننا السماوية -ولله الحمد- ليست في حاجة إلينا لخلقها ويكفينا ببساطة أن نفتح أعيننا وقلوبنا فقد كانت هذه الأديان قبلنا وستبقى بعدنا وعندما يؤمن الإنسان بهذه الأديان تكون الأمور أسهل كثيرا بالنسبة إليه.

-سؤال:

في فرنسا ومنذ قيام الثورة ابتدعنا بعض الأسانيد الشرعية التي تكاد تكون دينية فكان هناك أولا الفرد الأسمى ثم الجمهورية التي أضفينا عليها صفة القداسة فهناك رجال عاديون بل هناك رجال دون المستوى حققوا أمورا عظيمة لأنهم كانوا يستندون إلى الجمهورية وقد قام الجنرال دوغول بتقديس الأمة أي فرنسا كفرنسا وأراد فرنسوا ميتيران إضفاء القدسية على حقوق الانسان.

ومن الأرجح أن ذلك كان أحد الأسباب الرئيسية لفشل الاشتراكية فلا يمكن لحقوق الانسان أن تتجاوز الانسان. ومن البديهي أنه في بلد مثل فرنسا حيث كانت السياسة تعكس الدين لسنوات طويلة فإن المجتمع المدني والسياسي يضعف بقدر ما يضعف الدين ففي العمق لم تكن العلمانية خلال سنوات عديدة سوى نقيض للدين.

- جواب جلالة الملك :

لقد قابلت عدة مرات الرئيس ميتيران وكان كل لقاء يستغرق وقتا طويلا ولم يسبق له أبدا أن حدثني عن حقوق الانسان وإنما كان دائما يحدثني عن تاريخ فرنسا وملوكها وطول مدد حكمهم.

-سؤال:

كيف تقيمون ياصاحب الجلالة نظرة بعض الحداثيين المسلمين الذين يعتبرون أن الطريق إلى الحداثة يمر عبر العلمانية كما هو الحال في تركيا على سبيل المثال.

-جواب جلالة الملك :

إن الأمر لا يتعلق بحداثة إسلامية، ولكن بحداثة تركية محضة. إنه شأن تركي داخلي والأتراك على كل حال لا يريدون تصدير نموذجهم.

-سؤال:

وكيف يمكن للعالم الإسلامي أن يقي نفسه من هذه المغالاة التي يشكلها التطرف الديني؟

-جواب جلالة الملك :

إننا نجد هذا التطرف الديني في البلدان التي ضلت مستعمرة لفترة طويلة والتي تحاول استعادة توازنها الثقافي أو في بلدان اسلامية لا تكون فيها اللغة العربية هي اللغة السائدة . فأنتم تسمعون الكثير من الإيرانيين يتحدثون عن فئة رجال الدين في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا رهبانية في الإسلام أي أنه لا يجب أن تكون هناك فئة من الأشخاص أو الوسطاء بين المؤمن وربه . فعندما يتحدث شخص إيراني عن رجال الدين فإنه يقصد أولئك الذين يعرفون اللغة العربية ويمكنهم بالتالي أن يقرأوا الأحاديث النبوية والقرآن الكريم. إلا أنه في البلدان الناطقة بالعربية التي يمكن لكل واحد فيها أن يقرأ كتابا بالعربية فإن مخاطر نمو ظاهرة التطرف الديني قليلة بشكل كبير.

-سؤال:

في فترة ثورية بمفهومها التاريخي كالفترة التي نعيشها في الوقت الراهن هناك اختيار بين خلق وجمع مجموعات كبيرة أو على العكس من ذلك الحفاظ على هوية قوية جدا. بالنسبة للاختيار الثاني ألا يشكل البعد العربي السني عاملا وحده قويا بالنسبة للبلدان الإسلامية.

-جواب جلالة الملك :

كلا إنها بعيدة على الصعيدين الجغرافي والعرقي .

-سؤال:

ولكن ما هو الشأن بالنسبة للمغرب العربي.

-جواب جلالة الملك :

إننا نتوفر على جميع العناصر المكونة لاتحاد اقليمي جيد فهناك وحدة

الدين وحد أدنى من الوحدة على الصعيد العرقي. فقد كانت هناك جميع العوامل التي تجعلنا ننطلق من أرضية صلبة.

-سؤال :

إن الحداثة الغربية تنطوي في بعض جوانبها على نوع من الغزو. كيف يمكن التوفيق بين هذا التغلغل المكثف والحفاظ على تطور بطيء ومتزن للمجتمع.

-جواب جلالة الملك :

يتعين علينا عدم التخلي عن شخصيتنا وأعتقد أن الايمان يشكل مصفاة بيولوجية حقيقية تمكن من تصفية كل ما يتم تخزينه والاحتفاظ فقط بما يمكن أن يفيد.

-سؤال:

في العالم الحديث يطغى الجانب الاقتصادي على الجانب السياسي أو بالاحرى فإن الجانب السياسي تراجع أمام الاقتصاد والواقع أن ما نعتبره نحن سياسة هو على ما يبدو دين بالنسبة لكم ولا يبدو في الوقت الراهن أن الدين يمكن أن يحل محله شيء آخر.

-جواب جلالة الملك :

إن للدين أثرا أخلاقيا وهذا بالضبط هو الأهم فمشكل منع الحمل مثلا مشكل أخلاقي يترك للمرء حرية حسب أخلاقياته مع بقائه في الوقت نفسه في إطار دينه .

-سؤال:

يشهد عالمنا في مجال التقدم التقني والعلمي تطورات سريعة مطبوعة بمنافسة متزايدة الحدة بين الأمم . ألن تجد بعض البلدان مرجعيات الثقافية والدينية الراسخة صعوبات في التطور بالسرعة اللازمة.

-جواب جلالة الملك :

ليست هناك شعوب غبية وأخرى ذكية بل ثمة شعوب تعيش حياة رتيبة وشعوب آخرى تتحلى بروح المغامرة وهذه الأخيرة وحدها ستفوز لكن في العمق فإن التحرك هو أقل صعوبة بالنسبة لنا لأن كل جديد مرغوب فيه، فنحن نريد أن يكون لنا مختبرنا الدولي، وأن يكون لنا صاروخنا ويكون رائد فضاء كما نريد أن يكون لنا قمرنا الاصطناعي الموضوع في المدار . يجب أن تكون لنا إذن أشياء كثيرة.

-سؤال:

ألا تخشون أن تتسبب أوربا التي توجد في طور البناء بنواة صلبة جرمانية شديدة التماسك في فجوات وخيمة العواقب بين مختلف بلدان أوربا من جهة وضفتي البحر الابيض المتوسط من جهة أخرى.

-جواب جلالة الملك :

لقد كنت أخشى هذه الفجوات لكنني أخشاها الآن بكيفية أقل فقبل عامين عندما كان صندوق النقد الدولي ونادي باريس يقولان لنا كفى من النفقات الاجتماعية والتوظيف سددوا ديونكم قلصوا عجزكم، كان الأوربيون يعطوننا دروسا. أما الآن فقد جاء دوركم لتعانوا وتعودوا إلى نسبة 3 في المائة من العجز في الميزانية وتقلصوا من النفقات الاجتماعية وفي العمق فإن هذه القضية الأوربية تعد درسا ممتازا في التواضع بالنسبة للبلدان المشكلة لأوربا، فأنتم اقتربتم كثيرا منا.

ومن جهة أخرى لا أعتقد أن ألمانيا قادرة على التغلب على المشكل إذا كانت لا تفكر إلا في نواة صلبة تضعها لنفسها وعلى مقاسها. إنها قاعدة عامة فلنأخذ مثلا لاعبا جيدا في كرة المضرب ونجعله يواجه لاعبا ضعيف المستوى. فلن يكون هذا اللاعب الضعيف المستوى هو الذي سيلعب بكيفية سيئة فلكي يتم ارجاع الكرة جيدا يجب أن يكون الخصم من نفس مستوى الذي يرسل الكرة.